

مختصر ابن كثير

200 - فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذاكم آباءكم أو أشد ذكرا فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق .

- 201 - ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

- 202 - أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب .

يأمر تعالى بذكره والإكثار منه بعد قضاء المناسك وفراغها . وقوله { كذاكم آباءكم } اختلفوا في معناه فقال عطاء : هو كما يلهج الصبي بذكر أبيه وأمه فكذلك أنتم فالهجوا بذكر الله بعد قضاء النسك . وقال ابن عباس : كان أهل الجاهلية يقفون في الموسم فيقول الرجل منهم : كان أبي يطعم ويحمل الحملات ويحمل الديات ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم فأنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم : { فاذكروا الله كذاكم آباءكم أو أشد ذكرا } والمقصود منه الحث على كثرة الذكر لله (أو) وهنا لتحقيق المماثلة في الخبر كقوله : { فهي كالحجارة أو أشد قسوة } فليست وهنا للشك قطعاً وإنما هي لتحقيق المخبر عنه كذلك أو أزيد منه .

ثم إنه تعالى أرشد إلى دعائه بعد كثرة ذكره فإنه مظنة الإجابة ودم من لا يسأله إلا في أمر دنياه وهو معرض عن أخراه فقال : { فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق } أي من نصيب ولا حظ وتضمن هذا الظم التنفير عن التشبه بمن هو كذلك قال ابن عباس : كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف فيقولون : اللهم اجعله عام غيث و عام خصب و عام و لاد حسن لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً فانزل الله فيهم : { فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق } ولهذا مدح من يسأله الدنيا والآخرة فقال : { ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار } فجمعت هذه الدعوة كل خير في الدنيا و صرفت كل شر فإن الحسنه في الدنيا تشمل كل مطلوب دنيوي من عافية و دار رحبة و زوجة حسنة و رزق واسع و علم نافع و عمل صالح و مركب هين و ثناء جميل إلى غير ذلك مما اشتملت عليه عبارات المفسرين ولا منافاة بينها فإنها كلها مندرجة في الحسنه في الدنيا .

وأما الحسنه في الآخرة فأعلى ذلك دخول الجنة و توابعه من الأمن من الفزع الأكبر في العرصات و تيسير الحساب و غير ذلك من أمور الآخرة الصالحة و أما النجاة من النار فهو يقتضي تيسير أسبابه في الدنيا من اجتناب المحارم و الآثام و ترك الشبهات و الحرام . و قال القاسم أو عبد الرحمن : من أعطي قلباً شاكراً و لساناً ذاكراً و جسداً صابراً فقد أوتي في الدنيا حسنة

وفي الآخرة حسنة ووفي عذاب النار . ولهذا وردت السنة بالترغيب في هذا الدعاء . فقال البخاري عن أنس بن مالك : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : " اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار " وكان أنس إذا أراد أن يدعو بدعوة دعا بها وإذا أراد أن يدعو بدعاء دعا بها فيه . وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هل تدعو الله بشيء أو تسأله إياه ؟ قال : نعم كنت أقول اللهم ما كنت معاقبي به في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله لا تطيقه أو لا تستطيعه فهلا قلت { ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار } قال : فدعا الله فشاه (قال ابن كثير : انفراد بإخراجه مسلم)